



نداء من أجل السلام

البابا ورهانه العراقي

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

يصعب إدراج زيارة البابا فرنسيس للعراق خارج محاولته إنقاذ ما بقي من مسيحيي المشرق العربي الذين يتقلص عددهم يوميا بفعل ما يدور في العراق نفسه وفي سوريا ولبنان، حيث بات وضع المسيحيين خصوصا والبنانيين عموما مأساويًا إلى أبعد حد.

ذهب البابا إلى العراق متحديا كل الصعوبات بما في ذلك تقدمه في العمر، إذ تجاوز الـ 84 عامًا. يتحدّى أيضا انتشار وباء كورونا (كوفيد - 19) الذي أصاب معظم العاملين في السفارة الباباوية في بغداد، بمن في ذلك السفير نفسه الذي لعب دورا كبيرا في الإعداد للزيارة.

مهمة البابا تبدو شبه مستحيلة، لكن ليس ميؤوسا منها. جاء ليقول إن ما يدعو إليه من سلام ومحبة وإخاء وتسامح ونبذ للتطرف وكل ما توصل إليه مع شيخ الأزهر في أبوظبي في فبراير 2019 يجب أن ينسحب على العلاقة مع الشيعة أيضا، شيعة العراق أولا

كان يمكن تأجيل الزيارة. لكن الإصرار عليها يؤكد أهميتها بالنسبة إلى الحبر الأعظم، رأس الكنيسة الكاثوليكية في العالم. إنها في الواقع زيارة مليئة بالرموز بدءا باختيار العراق نفسه ثم الإصرار على أن تكون بغداد منطلقا لكل زيارة في داخل العراق ونهايتها. زار بغداد والنجف وأور وقره قوش والموصل وأربيل. وعاد في كل مرة إلى العاصمة العراقية. أراد البابا فرنسيس بذلك تأكيد أهمية بغداد وأهمية مرجعية النجف، حيث التقى آية الله على السيستاني، وأهمية اور التي يعتقد أن النبي إبراهيم ولد فيها حسب ما ورد في التوراة.

كانت اور حضارة عظيمة في التاريخ القديم (الحضارة السومرية). منها انطلقت حملات في اتجاه بلاد فارس. الأكيد أن ذلك لن يعجب المسؤولين الإيرانيين كثيرا مثلما لن تعجبهم زيارة النجف. ذلك أن النظام في إيران يرى في "المشهد" المرجعية الشيعية الأهم بصفة كونه "الولي الفقيه".

يبحث البابا فرنسيس عن الاعتدال. يمثل الحكم في العراق حاليا محاولة لأخذ البلد إلى الاعتدال. هذا ما يعبر عنه باستمرار رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي ورئيس الجمهورية برهم صالح الذيلقى خطابا استثنائيا لدى استقباله رأس الكنيسة الكاثوليكية في القصر الجمهوري في بغداد.

ما الهدف من زيارة البابا للعراق؟ إذا وضعنا جانبا شجاعة الرجل الذي يسعى إلى إقناع من بقي من مسيحيي العراق بالبقاء في أرضهم، يبدو ما يقوم به رأس الكنيسة الكاثوليكية مهمة شبه مستحيلة. لم يبق في العراق أكثر من 400 ألف مسيحي في أحسن الأحوال بعدما كان عدد هؤلاء نحو 1.5 مليون في الماضي القريب.

لا شك أن هناك هجمة على مسيحيي العراق الذين استهدفتهم "القاعدة" و"داعش" كما استهدفتهم الميليشيات الشيعية المختلفة المدعومة من إيران التي تطمح إلى الاستيلاء على أملاكهم في مناطق عراقية مختلفة من البصرة إلى بغداد... إلى الموصل المدينة التي احتلها تنظيم "داعش" طويلا وعبثت فيها بعد ذلك ميليشيات "الحشد الشعبي". مؤسف أن "الحشد الشعبي" صار جزءا لا يتجزأ من مؤسسات الدولة العراقية وجيشا رديفا للجيش العراقي بعدما لعب السيستاني دورا في إعطائه شرعية في العام 2014. أفتى المرجع الشيعي الأعلى في النجف بذلك وقتذاك، بحجة الحاجة إلى مواجهة "داعش" في الموصل.

سيتوقف الكثير على نجاح حكومة مصطفى الكاظمي، التي وضعها البابا أمام مسؤولياتها، في تجاوز المرحلة الصعبة التي يمرّ فيها العراق. سيظل السؤال الأهم في كل وقت: هل من أمل في تحقيق ذلك، خصوصا أن الأحداث الأخيرة أكدت أن الكاظمي يمتلك عقلا نطقا بعيدا كل البعد عن المذهبية والطائفية والتعصب القومي؛ ملخص ذلك هل تستطيع الحكومة العراقية إخراج العراق من الوصاية الإيرانية؟

ومحبة وإخاء وتسامح ونبذ للتطرف ورفض لاستخدام الدين لتغطية الإرهاب وكل ما توصل إليه مع شيخ الأزهر في أبوظبي في شباط - فبراير 2019، يجب أن ينسحب على العلاقة مع الشيعة أيضا، شيعة العراق أولا.

من هذا المنطلق التقى البابا السيستاني الذي لم يتوقف عن الدعوة إلى نبذ الانقسامات المذهبية. من هذا المنطلق جاء لدعم حكومة مصطفى الكاظمي التي أثبتت أن هناك خطايا وطنيا عراقيا لا يمكن تجاهله وأن العراق لم ينته بعد وأن المسيحيين فيه من سريان وكلدان وأشوريين لا يزال لديهم مكان، وإن صغير، في هذا الشرق الذي تطبق عليه الظلمة كل يوم أكثر...

جاء البابا فرنسيس إلى بلد جريح، اضاء شمعة في الظلمة العراقية، وهي ظلمة زادت بعد الاجتياح الأميركي في العام 2003 وتسليم هذا البلد المهم على صحن من فضة إلى إيران.

تبدو مهمة البابا فرنسيس شبه مستحيلة، لكن ليس ميؤوسا منها كليا. جاء ليقول إن ما يدعو إليه من سلام

الإرهاب ثلاثة

عمليات اغتيال أو تفجير أو افتعال حريق، والمعروف أن الذي فكر في تأسيسه، وقام بتشكيل خلاياه الأولى هو مرشد الإخوان المسلمين، حسن البنا الذي تلاحقت أفكاره بأفكار سيد قطب المتشدة والمتطرفة، الداعية إلى القوة وسفك الدم لتغيير الأنظمة.

ولكن محاولة اغتيال الرئيس جمال عبدالناصر سنة 1954 كانت هي الكبوة الأولى للجماعة، حيث تم اعتقال أغلب قادتها، وأعدم مرشدنا الروحي، سيد قطب، باعتباره الموجه والمفتي باغتيال رئيس الدولة، وواضع خطط أخرى لنسف القناطر الخيرية وبعض الكباري ومحطات الكهرباء والمياه، وذلك لإشاعة فوضى تؤدي إلى وصول الإخوان إلى السلطة.

والكبوة الثانية كانت

عمليات اغتيال أو تفجير أو افتعال حريق، والمعروف أن الذي فكر في تأسيسه، وقام بتشكيل خلاياه الأولى هو مرشد الإخوان المسلمين، حسن البنا الذي تلاحقت أفكاره بأفكار سيد قطب المتشدة والمتطرفة، الداعية إلى القوة وسفك الدم لتغيير الأنظمة.

ولكن محاولة اغتيال الرئيس جمال عبدالناصر سنة 1954 كانت هي الكبوة الأولى للجماعة، حيث تم اعتقال أغلب قادتها، وأعدم مرشدنا الروحي، سيد قطب، باعتباره الموجه والمفتي باغتيال رئيس الدولة، وواضع خطط أخرى لنسف القناطر الخيرية وبعض الكباري ومحطات الكهرباء والمياه، وذلك لإشاعة فوضى تؤدي إلى وصول الإخوان إلى السلطة.

والكبوة الثانية كانت

في توليدها والممسكون بزمامها، أن الحاجة إليها قد شارفت على النهاية، وأن ذبحها أصبح ضروريا لا بد منه.

ولكنها لا تجرؤ على التحول إلى حركة عرجاء مشلولة إلا في أعقاب أحداث تموز/ يوليو 2013 التي أطاحت بحكم الإخوان المسلمين، وضربتهم في مقتل، وحولت قاداتها إلى لاجئين في قطر وتركيا أو هاربين من العدالة.

● الثاني هو إرهاب الجماعات (السنية) السلفية التكفيرية، والذي أنشأه أسامة بن لادن، المخلاقي فكريا وتنظيما مع جماعة الإخوان المسلمين.

ورغم أن القاعدة، التي أسسها وتزعمها في أفغانستان، بدعم أميركي سعودي، نفذت عمليات إرهابية نوعية كبرى من وزن تفجير مركز التجارة العالمية في نيويورك سنة 2001 إلا أنها لم تتحول إلى قوة فاعلة حاكمة على الأرض إلا حين انسحل عنها أبومصعب الزرقاوي وأسس، في التسعينيات من القرن الماضي، تنظيم "التوحيد والجهاد".

وبعد مقتله على يد القوات الأميركية في العام 2006 ورثه في القيادة أبو بكر البغدادي الذي أقام أول خلافة إسلامية أطلق عليها اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" المختصر بـ "داعش".

ولكن الزمن أثبت أنها ولدت ميتة، كالفقاعة، رغم اتساع رقعة احتلالها لمساحات واسعة ومهمة في العراق وسوريا. إذ سرعان ما رأى الذين اخترعوها، أو الذين شاركوا

لم نجد بحاجة إلى دليل إثبات على مسؤولية النظام الإيراني عن صواريخ أربيل، بعد إلقاء القبض على مسؤول الخلية (العراقية) التي نفذت الهجوم، واعترافه العلني باتمام أفرادها إلى ميليشيات "سيد الشهداء"، التي أنشأها الإيرانيون عام 2013. ولكن بالرغم من ذلك يخرج علينا رئيس إقليم كردستان العراق، نجيرفان البارزاني، ليقول "إن العراق ما زال بحاجة إلى مساعدة الولايات المتحدة والتحالف الدولي لمواجهة تنظيم داعش"، وليس إيران.

والسؤال الملح هنا هو لماذا لا يجرؤ مسؤول عراقي واحد على التصريح بأن النظام الإيراني، الإخطار من داعش، هو صاحب الخلايا الإرهابية المسؤولة عن جرائم القصف والمفخخات والتفجيرات ثم يلقى تهمة القيام بها بداعش الذي قد يكون له وجود حقيقي، وقد لا يكون.

فتنظيم داعش، كما هو ثابت ومعروف، تحول إلى فئات متناثر ومن دون هيئة موحدة تدير وتتابع ولها أذنيها الإعلامية، كما كانت في السابق، لتكذب من يتهم التنظيم بتلك العمليات. وقد يكون، وهو البريء، مضطرا إلى السكوت، باعتباره أن ذلك يكسبه دعابة مجانية هو في حاجة إليها وهو في أسوأ حالاته.

حين ندقق في طبيعة الإرهاب الإسلامي المعاصر وأنواعه وأماكن نشوئه ومصيره نتوصل إلى نتيجة مفادها أنه ثلاثة أنواع:

● الأول هو الإرهاب البدائي الفردي الذي لم يستطع أن ينفذ سوى بضع

لماذا لا يجرؤ مسؤول عراقي واحد على التصريح بأن النظام الإيراني، الأخطر من داعش، هو صاحب الخلايا الإرهابية المسؤولة عن جرائم القصف والمفخخات والتفجيرات ثم يلقى تهمة القيام بها بداعش

أما ما يقوم به بعض انتحاريي دولة الخلافة، هنا وهناك، من عمليات، منذ سقوطها ومقتل البغدادي وإلى اليوم، فليس سوى دليل على الخيبة والفضل والاندحار.

وإلى هذا الحد يمكن اعتبار الإرهاب السني عاش هزيبا، وهو في أيامنا هذه هزيل وفي أواخر أنفاسه، بعد أن تحول إلى عصابات متفرقة يتيمة لا راعي لها ولا معين.

● أما الثالث فهو إرهاب الدولة الإيرانية الغنية القوية ذات العقيدة القومية الطائفية المتشدة والمدعومة والممولة من دول صناعية كبرى كروسيا والصين وكوريا الشمالية.

والحقيقة أنه هو الإرهاب الأقوى والأوسع والأكثر تطرفا ودموية من كل إرهاب آخر عرفتته المنطقة والعالم في العصر الحديث.

لم يتكف مؤسس الخميني بأسلحة التنظيمات الإرهابية (السنية)

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبائي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk